

كتب

يوضّح الكاتب الألماني، أبراهام ملتسر، في كتابه «صنع معاداة السامية»، كيف عملت «إسرائيل» على ربط مصطلح «معاداة السامية» بأي نقد يُوجّه إليها وإلى الحركة الصهيونية، بهدف منع انتقاد ممارساتها تجاه الشعب الفلسطيني وجرائمها ضدّه

أصل المفهوم وصولاً إلى تحريم نقد كيان استعماري صناعة أوروبية تسمّى معاداة السامية

أحمد هامون

محيّزٌ أمر كتاب «صنع معاداة السامية: أو تحريم نقد إسرائيل»، فمين الصعب وصف مقعده ضمن دراسات معاداة السامية واليهودوكوست، فهو عمل صحافي وأكاديمي، سيرة ذاتية وسيرة جماعية، صرخة سياسية من يهودي من أصول ألمانية، كتاب يكُنّ العداء المطلق للصهيونية، ولكنّه مع وجود «إسرائيل» (وهذا أحد أوجه شطط المؤلف)، يكره استغلال «إسرائيل» والحركة الصهيونية الأقصى لليهودوكوست ومعاداة السامية، وهو ناقد حادٌ للتاريخ الأوروبي المسيحي، ومدافع مستميت عن العرب والتاريخ الإسلامي في علاقة كليهما باليهود.

صدر هذا الكتاب عام 2017 بالألمانية، وعام 2022 بالعربية عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بترجمة سميرة خضر. مؤلّفه، أبراهام ملتسر، أنجر مع عائلته، وهو لا يزال طفلاً من ولاية تريبستي إلى شواطئ حيفا في 10-11 أيار/ مايو 1948، أي في الأيام التي وقعت فيها فلسطين بأيدي العصابات الصهيونية، وأعلن «استقلال» الكيان بعدها بأربعة أيام.

درس ملتسر في المدارس الصهيونية، وترى على «أن هؤلاء الناس (الفلسطينيين) أعداؤنا، لذا يجب علينا احتقارهم وكرههم، على الرغم من أنهم لم يقوموا بأي عمل يسيء إلينا». نشأ في «إسرائيل» معتزلاً بكونه يهودياً، والتحق بالمعسكرات الشبابية اليهودية فيها، ثم في ألمانيا لاحقاً في بداية عودته، ولكن والده كان يبحث عن فرصة لمغادرة «إسرائيل»، بعد عملية السرقة في فلسطين، فعلى حدّ قول والده في مذكراته، فإن كل ما في «إسرائيل» يذكره بالقرعة قبيل سيطرة النازيين على الحكم: من مظاهر حدة صعود القومية، إلى الربايات الكثيرة المنتشرة، إلى الطاعة العمياء، وانتشار بروباغندا أن العالم كلّه يكره اليهود. من هنا، استنكر والد أبراهام مشاركة ابنه في تلك الحركات الشبابية شبه العسكرية، حيث كان يهمس أحياناً: «شبيهة هتلر أيضاً لا يختلفون عن شبيهة الصهيونية».

يتتبع أبراهام ملتسر، في هذا الكتاب، عدداً من القضايا المتعلقة بمعاداة السامية، فيرجع إلى أصل المفهوم وسياقه التاريخي، وصولاً إلى المحرقة وما لحقها داخل القضاء الأوروبي والألماني على وجه الخصوص، ويحاول رصد سعي «إسرائيل» إلى ربط معاداة السامية بأي نقد موجه لها وللحركة الصهيونية لإعاقة الإعلام الأوروبي والدولة والمجتمع الألمانيين عن نقد السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، حتى لا يُعتبر ذلك معاداة للسامية.

يحيلنا كذلك إلى ظاهرة محبّي السامية غربياً، ويوجّه نقداً لأعداء «المجلس المركزي لليهود» في ألمانيا الذي يدافع باتجاه منع، بل تحريم، نقد كيان استعمار استيطاني قائم في فلسطين. ويخصّص الباحث كذلك مساحة لمسألة مهمة في طور النقاش، حول ظاهرة معاداة سامية تظهر في ألمانيا خلال السنوات الأخيرة، متعلقة بوجود اللاجئين العرب والسوريين على وجه الخصوص، ويوجّه نقده (الضعيف) لتلك الاتهامات الموجهة للعرب، ويطلق مقولة مهمة في هذا الصدد، وهي أن معاداة العرب لليهود لا تتعلّق بوصفهم إثنية يهودية، كما يتعامل معها القضاء المسيحي الأوروبي، بل إنّ هذه المعاداة قادمة من طبيعة الصراع القائم في المنطقة العربية واستعمار «إسرائيل» لفلسطين ليس إلا، بل إنّ العرب لم يكونوا في



يؤكد أنّ العرب لم يكونوا في يوم معادين لليهود

شبيهة هتلر أيضاً لا يختلفون عن شبيهة الصهيونية



ما زال الفلسطينيون يدفعون ثمن معاداة السامية والمطامع الاستعمارية. الصورة من دير البلح (Getty)

يهودي مناهض للصهيونية

أبراهام ملتسر كاتبٌ وناشرٌ ألماني من مواليد سمرقند في أوزبكستان عام 1945. له العديد من الكتابات باللغة الألمانية، والتي يتحجور كثير منها حول نقد سياسات الاحتلال والاستيطان الإسرائيلية في فلسطين. قبل «صنع معاداة السامية» الصادر في 2017، صدر له كتابان: «الالمان واليهود: مشكلته غير قابلة للحل» (1966)، و«إسرائيل في محاكمة، مقالات يهودي مناهض للصهيونية» (2015).

يوم من الأيام معادين لليهود، وإنّ اليهود في كل العصور لم يتعرّضوا للاضطهاد من قبل العرب، كما تعرّضوا له في أوروبا، وإنّه في الوقت الذي قامت فيه محاكم التفتيش ضدّ المسلمين واليهود على السواء، احتضنهم العرب المسلمون في ظلّ الحكم العثماني. تعبير «معاداة السامية» وردّ أول مرّة عام 1865 في «معجم الدولة روتيك فلّكيشن»، وكان المصطلح، حين ضُكّ أول مرّة، مدعاة للتفاخر الشخصي في أوساط الأكاديميين والمتقنين، وأخذ يشكّل تكاتلاً سياسية مع دعوات الصحافي الألماني فيلهلم مار، مؤلّف كتاب «انتصار اليهودية على الألمانية»، في عام 1879، وعزّف اليهود بأنهم «غرباء شريقيون» ينتسبون إلى «عرق سامي»، وقارنهم بـ«الطفيليات». في العام التالي، دعا مار إلى تشكيل «حركة برلين» و«عريضة مُعادي السامية» طالب فيها مستشار الرايخ آنذاك، أوتو فون بسمارك، بسحب قانون المساواة القانونية المتعلق بالمواطنين اليهود في الرايخ الألماني. ومنذ ذلك الحين، عدا تعبير «معاداة السامية» عموماً يشير إلى موقف الموقعين على العريضة واتباع مار. كراهية اليهود قديمة جدّاً في الثقافة المسيحية، أساسها كره الكنيسة لهم؛ إنّ

ويستعجب ملتسر الحالة الهستيرية المنتشرة حول نظريات العرق وصفائه في أوروبا، ويتساءل: «هل يمكن حقاً أن يكون من سخرية التاريخ أن تنشأ نظريات مثل العرق النقي» أو فكرة «العرق الآري النقي» في وسط أوروبا، الذي شهد كثيراً من ظواهر اختلاط شعوب عديدة على مدار مئات وآلاف السنين؟ في الحقيقة، أدت هذه العقيدة المجنونة إلى القتل الجماعي لملايين البشر من يهود وغجر وروس وأوكرانيين وغيرهم، باعتبارهم شعوباً ذات قيمة وضيعة».

يظهر هنا أنّ الباحث يتعامل مع الظاهرة بروح اليهودي الناقم والكاره لهذا التاريخ الأوروبي دون أدنى محاولة لسرد وفهم تركيبات تعقيد ظاهرة اليهودوكوست، متجنّباً فهم الحالة في سياق صناعة الدولة - الأمة النقيّة في أوروبا، فعالم الأنثروبولوجيا النمساوي ماتّي بزل، يجد أنّ اختراع معاداة السامية في أواخر القرن التاسع عشر «تمّ من أجل مراقبة الدولة الأمة النقيّة عرقياً»، في حين يتجنّب ملتسر الدخول في تفسيرات حول لقاء أفكار الهندسات الاجتماعية الناجمة عن نظرية التطور وأصل الأنواع مع المنظومة البيروقراطية، وهذا كلّه في سياق الأوسع، سياق عملية التحديث، ودينها الهوية العرقية، كما وصفته حنة أرندت.

وعلى حدّ وصف عزمي بشارة وزيغيمونت باومان، فإنّ لقاء البيروقراطية مع الهندسة الاجتماعية (القائمة على الصفاء) وخلق هويات نقية يجعل من عملية تطهير البشر والإبادة تشبه عمل المستنق، أي عمل البستاني في تنظيف الحديقة من الأعشاب الضارة والعناصر غير السليمة، واليهود في ذلك السياق اعتُبروا كذلك، أي إنّه لا يمكن دمجهم لأسباب وراثية متعلقة بالعرق والدم. ذلك كله عدا عن عدم تحفّظه على رقم 6 ملايين تمّت إبادتهم في ألمانيا، فهو تبنّ تام للسردية الصهيونية، ولكنه سجل طويل كُتب فيه الكثير وما زال.

هناك مسألة قليلاً ما يجري التنبيه إليها، لا نعلم مدى دقّتها ولكن يمكن التفكير فيها، تتعلّق بالادعاءات القادمة من أبراهام ملتسر والباحثين الآخرين حول المنادي بصفاء الأعراق والدماء في أوروبا في حينه، ليس اليهود هم ذاتهم من أسسوا لفكرة الجنس اليهودي في نهايات القرن التاسع عشر، مع تأسيس الحركة الصهيونية، أي في السياق ذاته الذي بدأت تشتعل فيه هذه النظريات في الغرب حول المسألة نفسها. هذا اللوم على الألمان والأوروبيين المتعلّق بالجنس اليهودي، والذي قاد إلى المحرقة، هو صهيوني في أصله، وسابق على المحرقة بعقود، فهم ساهموا أيضاً في عملية فسج اليهود عن الهويات الأوروبية الناشئة مع الدولة - الأمة.

(باحث من فلسطين)

عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، صدر كتاب **الأيديولوجيا والخطاب: مقمّمة متعدّدة التخصّصات** للغوي الهولندي تون فان دايك (1943)، بترجمة سعيد بكار ولحسن بوتكلاي. يُعدّ الكتاب مرجعاً في العلوم الاجتماعية والإنسانية لتحليل الخطاب العنصري، وهو يركّز على خطاب الأيديولوجيا العنصرية وطرائق التعبير عنها، ضمن سبعة فصول تتمحور حول مواضيع تتعلّق بـ«الأيديولوجيا» من حيث التعريف والمنشأ والتطبيق وأيديولوجيات المجتمعات، والاتفاق والاختلاف حول الأيديولوجيات، ونقاط القوة والضعف فيها وتأثيرها في بنى الخطاب.

ضمن الاهتمام المتزايد في البوسنة بالوضع في فلسطين، صدرت، خلال الشهر الجاري، عن «دار بلانجكس» Planjox، الطبعة الثانية من **البحث عن وليد مسعود**، رواية الشاعر والناقد والروائي الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا (1920 - 1994). بتوقيع الأكاديمي والناقد البوسني البارز أسعد دوراكفيتش، الذي عُرف عنه اهتمامه المبكر بالأدب الفلسطيني؛ حيث أصدر عام 1983 أول مختارات شعرية فلسطينية في يوغسلافيا السابقة بعنوان «قصائد مقاومة». كانت الطبعة الأولى من ترجمة الرواية قد صدرت عام 1995 عن «دار زيد» Zid في سراييفو.

صدرت النسخة العربية من كتاب **جدّتي وأمي وأنا: مذكرات ثلاثة أجيال من النساء العربيات** لجين سعيد المقدسي، بترجمة هالة كمال عن «المركز القومي للترجمة». تعود المؤلّفة، وهي شقيقة إدوارد سعيد، إلى نهايات القرن التاسع عشر، لتروي سيرة ثلاث نساء، هنّ جدّتها منيرة موسى بدر التي وُلدت في حمص وعاشت في بيروت والقاهرة، ووالدتها هيلدا موسى سعيد التي وُلدت في الناصرة وسكنت في بيروت والقاهرة، والكتابة التي وُلدت في القدس وعاشت بين القاهرة والأليابنة المتّحدة وبيروت، وما شهدته من أحداث سياسية في مقمّتها نكبة فلسطين عام 1948.

عن «مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية»، صدر كتاب **سجل محكمة القدس الشرعية رقم 219** من إعداد وتقديم الباحث وأستاذ التاريخ إبراهيم حسني صادق ربابعة. يتضمّن الكتاب سجل «الصرّة الرومية»، وفيه دفتر صرف العطايا السلطانية السنوية الموجهة من إسطنبول إلى القدس الشريف عام 1137 هـ/ 1725 م، وتضمّ أسماء خطباء المسجد الأقصى في تلك الفترة، وأئمة قبة الصخرة وجامع المغاربة والقراء والمؤدّبين وخدام الجوامع وغيرهم من موظفي الأوقاف، ودفتر توزيع الصدقات وآلية توزيعها في المدينة، وكذلك سجل أوقاف السلاطين والولاة فيها.

الأمم المتّحدة وقضية فلسطين.. الحكم بالقانون وبنية التبعية القانونية الدولية عنوان كتاب لأستاذ القانون أردّي إميسيس، صدر عن «منشورات جامعة كامبردج». يرى المؤلّف أنّ هناك فجوة مستمرّة بين متطلبات القانون الدولي ومتطلبات الأمم المتّحدة في ما يتعلّق بقضية فلسطين، ويستكشف إدارة الأمم المتّحدة للمشكلة الأطول أمداً في جدول أعمالها، ويقمّ بشكل نقدي التناقضات بين موقف المنظمة والقانون الدولي، وكيف فشلت الهيئة الأممية في احترام القانون الدولي، وما هي الآثار المتربّبة عن عدم تنفيذ مجمل قراراتها منذ عام 1948.

مواقف الذكرى عنوان الجزء الأوّل من كتاب سبيري للكاتب والأكاديمي الفلسطيني أحمد حرب (1951)، صدر عن «دار الأهلية»، لمخصّص المؤلّف هذا الجزء للحدثين من مرحلتي الطفولة والشباب قبل النكسة، والأوضاع في الريف الفلسطيني، وتحديداً ريف الخليل، خلال فترة الستينيات، مستحضراً ذكرياته عن أحداث وشخصيات وأمكنته من تلك الفترة في مسقط رأسه: قرية الظاهرية، وما يحيط بها: الدوامة، وبيت جبرين، وحورة، وخور أبو شعرة. من إصدارات حرب الأخرى في الرواية: «إسماعيل»، و«الجانب الآخر لأرض المعاد»، و«بقايا»، و«الصعود إلى المنذنة».

في أوائل التسعينيات، قرّر رسام الكاريكاتير الإسباني الشاب جو ساكو السفر عبر فلسطين لتوثيق تجاربه في قصص مصوّرة. وهناك، تجولّ في الأسواق، والتقى بالأسرى، وتحدّث مع المظاهرين، وتناول الطعام مع المزارعين، وزار المرضى في المستشفيات، وانغمس في حياة وثقافة سكان غرّة والضفة الغربية. نتيجة تلك التجربة كانت كتاب **فلسطين**، الصادر عن دار «بلانيتا كوميك»، والذي يعدّ من أبرز الأعمال السياسية والتاريخية المنشورة في السنوات الأخيرة، علاوة على كونه وثيقة تصوّر نضال الفلسطينيين ضدّ أشكال الاحتلال كلّها.

الكتابة في علم الاجتماع والعلوم الإنسانيّة، كتابة اطروحة أو كتاب أو مقالة: كيفية البدء والبناء والإنهاء، عنوان كتاب لعالم الاجتماع الأميركي هوارد سول بيكر، صدرت ترجمته عن «ميسلون للثقافة والترجمة والنشر»، بتوقيع عمر حدّاد وتقديم حازم النهار. ينطلق العمل من ضرورة وجود خطوات محدّدة لإنتاج بحث علمي مع الالتفات، في الوقت نفسه، إلى أنّ الركيزة الرئيسة لأيّ كتاب يطمح إلى أن يُسَمّى بحثاً علمياً هي الأصالة والإبداع؛ أي اشتماله على إضافة علمية، تتفتح من خلالها آفاق جديدة من شأنها الارتقاء بالرد والمجتمع.

